الشرف المحتم

فيما من الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم

تاليف:

للشيخ الامام الحافظ المحدث المفسر

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي متوفى 911هـ

الناشر

دار برهان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد، فقد وقع السؤال عن مد يد النبي -صلى الله عليه وسلم- من قبره الشريف إلى الولي الكبير الإمام الشهير مولانا السيد أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه...

هل هو ممكن أم لا؟ وهل أسانيد هذه الرواية المشهورة عالية صحيحة؟

والجواب عن هذا السؤال المذكور حررته بهذا الكتاب وسميته الشرف المحتم فيما منّ الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه من تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم وأول ما أقول أن حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وقام بذلك البرهان وصحت الروايات وتواترت الأخبار.

وقد كتبت في حياة الأنبياء كتاباً مخصوصاً وبسطت فيه الأدلة والأخبار وها أنا أذكر لك بعضها. منه ما أخرجه إبراهيم في "الحلية" عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بقبر موسى عليه الصلاة والسلام وهو قائم يصلي فيه.

وأخرج أبو يعلي في مسنده عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون" ولا يخفى أن الله جمع لنبينا وسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- مرتبة النبوة والشهادة بدليل: ما أخرجه البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في مرضه الذي توفى فيه: لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم" فثبت كونه عليه الصلاة والسلام حيا بنص قوله تعالى: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"

والأنبياء أولى بذلك من الشهداء ونبينا أولى من جميع الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين لما منّ عليه به من المعاني الفائقة والخصائص الذكية وقد أفرد الرجال الإثبات حياة الأنبياء جميعاً وقد رأى نبينا -صلى الله عليه وسلم- جماعة منهم وأنهم في الصلاة وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأنه يرد على من يسلم عليه السلام.

وسئل البارزي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب أنه -صلى الله عليه وسلم -حي. وكان سعيد بن المسيب -رضي الله عنه- أيام الحرة لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أيام الحرة حتى عاد الناس وقال اليافعي عفيف الدين: الأولياء يرد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء أغير أموات كما نظر النبي -صلى الله عليه وسلم إلى موسى عليه الصلاة والسلام في قبره.

قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي، قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة لا تحصى فلنكتفي بها المقدار. وحيث أن الحياة ثبتت وسماع كلامهم ورؤيتهم عليهم الصلاة والسلام صح وقوعها عند الأولياء فخروج يد النبي -صلى الله عليه وسلم- لسيدي السيد أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ممكن ولا يشك فيه إلا ذو زيغ وضلالة أو منافق طبع الله على قلبه وإن إنكار هذه المزية ومثلها يؤدي إلى سوء الخاتمة حمانا الله لما فيه إنكار المعجزة الدائمة والكرامة الباهرة.

حدثنا شيخ الإسلام الشيخ كمال الدين إمام الكاملية عن شيخ مشايخنا الإمام العلامة الهمام الشيخ شمس الدين الجزري عن شيخه الإمام الشيخ زين الدين المراغي عن شيخ الشيوخ البطل المحدث الواعظ الفقيه المقرئ المفسر الإمام القدوة الحجة الشيخ عز الدين أحمد الفاروثي الواسطي عن أبيه الأستاذ الأصيل العلامة الجليل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الفاروثي عن أبيه إمام الفقهاء والمحدثين وشيخ أكابر الفقهاء والعلماء العاملين الشيخ عز الدين عمر أبي الفرج الفاروثي الواسطي قدست أسرارهم أجمعين. قال: كنت مع شيخنا ومفزعنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله تعالى عنه عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج فلما وصل مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقف تجاه حجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي فقال له: عليه الصلاة والسلام وعليك السلام يا ولدي.

سمع ذلك كل من في المسجد النبوي فتواجد سيدنا السيد أحمد وأرعد واصفر لونه وجثى على ركبتيه ثم قام وبكى وأنّ طويلاً وقال يا جداه..

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت . . . فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديه الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم ببغداد والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم نفعنا الله تعالى بعلومهم، وشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية الزكية.

وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قبس الحراني خرفة(1)[1] الشيخ السيد أحمد الكبير واندرج في سلك أصحابه.

ومن طريق آخر: حدثنا الشيخ محمد العلمي عن الشيخ أبي الرجال اليونيني البعلبكي عن الشيخ عبد الله البطائحي القادري عن الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي عن شيخه القطب الفرد الشيخ عبد القادر الجيلي ثم البغدادي قال: كنت في محفل الكرامة التي أكرم الله بها الشيخ أحمد الكبير الرفاعي بتقبيل يد النبي - صلى الله عليه وسلم - قال اليعقوبي: فقلت أي سيدي أما حسده على هذه الكرامة من حضر من الرجال فبكى رضي الله تعالى عنه ثم قال: يا بن إدريس على هذا يغبطه الملأ الأعلى.

ومن طريق آخر: حدثنا الإمام القوصي عن الشيخ قطب الدين ناظر الخزانة عن الشيخ ركن الدين السنجاري عن شيخه عدي بن مسافر وعن خادمه الشيخ علي بن موهوب قال كنا في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - عام حججنا وكان الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة وقد تكلم بكلمات ضبطها عنه جماعة فما أتم كلامه إلا وقدمدت له يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبلها ونحن ننظر مع الحاضرين.

[1] أي أخذ العهد على يده وصار من مريده في طريقته الرفاعية.

قال بن موهوب والله كأني بها وقد خرجت من القبر المبارك يد بيضاء سوية طويلة الأصابع كأنها البرق المضيء وكأني بالحرم وأهله وقد كاد يميد وقد كادت لقوم قيامة الناس بما ألم بهم من الدهش والحيرة والهيبة والسلطان المحمدي وقد قام الرحب وقعد بتكبير الناس وصلاتهم عليه -صلى الله عليه وسلم-. ومن المعلوم أن هذه المنقبة المباركة بلغت بين المسلمين مبلغ التواتر وعلت أسانيدها وصحت رواياتها واتفق رواتها وإنكارها من شوائب النفاق معاذ الله.

فائدة: إن قيل يدخل السيد أحمد رضي الله تعالى عنه في الصحابة لكون هذه المنقبة أثبتت له وللزوار بسببه رؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الجواب الذي عليه مشايخنا أنه محل نظر والأصح عدم الدخول وبهذا قال السخاوي والفراء وغيرهما لأن الحجة استمرار حياته عليه الصلاة والسلام وهذه الحياة أخروية ليست بدنيوية لا تتعلق بها أحكام الدنيا.

وقد ثبت أن السيد أحمد رضي الله تعالى عنه لما حج ثانياً في العام الذي توفى فيه وزار القبر الطيب الطاهر على ساكنه أفضل صلوات الله وسلامه قال: وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إن قيل... زرتم بما رجعتم يا أكرم الرسل ما نقول...... فظهر صوت من القبر الشريف سمعه كل من في المسجد المبارك يقول:

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول ولا غرابة في هذا فإن الحبيب عليه الصلاة والسلام كان يخاطب كل قوم بلسانهم وجوابه للحميري عن قوله: أم من أمبر صيام في المسفر حين قالها على لغة حمير واضعاً محل اللامين من البر والسفر يمين معلوم مشهور.

وجوابه إلى السيد احمد رضي الله تعالى عنه من هذا القبيل فافهم. والذي أدين الله به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف الفاطمي الحسني رضي الله تعالى عنه كان جبلاً راسخاً وبطلاً جحجاحاً ووليا عظيماً وبحراً من بحار السنة عجاجاً وسيداً... انتهت إليه رياسة طريق القوم وانعقد عليه إجماع العلماء والأولياء وقال بتقديمه وتقدمه رجال عصره كافة ومشى أكابر قادات عصره تحت لواء إرشاده تمكن من الاتباع للنبي عليه الصلاة والسلام وصح فيه قدمه فانتهى إليه التواضع ومكارم الأخلاق:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله . . . إن الزمان بمثله لبخيل

نفعنا الله تعالى بعلومه وإمداده وحاله وإرشاده وجعلنا الله في زمرته مع إخوانه أولياء الله تعالى تحت لواء نبيه - صلى الله عليه وسلم - وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا أخر رسالة نفع الله تعالى بها وما أحسن قول العارف بالله سيدي الشيخ تقي الدين الفقيه النهاوندي من قصيدته المطولة التي امتدح بها شيخه السيد أحمد الرفاعي المذكور عام عوده من الحج الشريف سنة مد اليد النبوية الكريم له قدس الله سره:

مدطه يمينه للرفاعي

يا لها من يمين قدس نزيه

قد تجلى الله المهيمن لما

لا تقل كيف تم هذا

واهجر المارقين واعذر إذاما

أيكون النبي ميت وفي القر

وبمد اليمين لابن الرفاعي

شهدتها المساء آلاف قوم

صار ذاك المساء صباحا فما

فرح الدين والهدى وطريق

وتعالى شأن النبي المفدى... فانجلت عندها الأشياء

يشتهي شم عطرها الأنبياء

ظهرت وازدهت لذاك السماء

وأيقن يفعل الله ربنا مايشاء

أنكر الشمس مقلة عمياء

آن أحياء وبها الشهداء

حجة في مقامها سمحاء

ورآها الأقران والأكفاء

أعجب يوماً فيه الصباح مساء

الحق بل والشريعة الغراء

وتلاشت بطبعها الأهواء